شفاعة القرآن وعودة بركته على المشتغل به في حياته وبعد مماته

بقلم

د. عبد القدُّوس بن أسامة السّامرائي

باحث أول بإدارة البحوث

التدقيق اللغوي
سيد المهدي أحمد

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م

ISBN978-9948-499-12-1

إخراج
نايـل بـدوي آدم

حقوق الطبع محفوظة
لدائرة الشـؤون الإسـلاميـة والعـمـل الخيـري بـدبـي
إدارة البـحـوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
mail@iacad.gov.ae www.iacad.gov.ae

بسم الله الرحمن الرحيم

❁ قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِى لِلَّتِى هِىَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾[سورة الإسراء الآية:٩].

❁ قال النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم:

«اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه...»(١).

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن ١/ ٥٥٣، برقم(٨٠٤).

افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد: فيسر « **دائرة الشؤون الآسلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث** » أن تقدِّم إصدارها الجديد «**شفاعة القرآن الكريم وعودة بركته على المشتغل به في حياته وبعد مماته**» لجمهور القراء.

جاءت صفحات هذا الكتاب تعالج حاجة الأجيال المعاصرة إلى الارتباط بالوحي الإلهي، وتقدِّم رؤية منهجية وميدانية في التعامل مع القرآن الكريم وتحث على ضرورة الانتفاع من بركته في الدنيا والآخرة، والتشوّق إلى شفاعته، وتبيّن ثمرة العلاقة الروحية الحسيّة معه وآثارها الإيجابية على المشتغل به في الدنيا والآخرة، وكونه - القرآن الكريم- السبيل الحق لحياة سعيدة آمنة.

جاءت هذه الصفحات لتذكّر كيف كانت الأُمة في

مرحلة عزّتها متمسكة بكتاب الله تعالى، ومشتغلة بكل ما يوصل فهمه للإنسانية بكل وسطية واعتدال.

وهو كتاب باعث على التمسك بحبل الله المتين، والاشتغال بفهم مضامينه، والعيش في ظلال آياته وأنواره، ومحرّك لأجيال الأمة كي تسارع وتسابق في حفظه وضبط ألفاظه، والقيام بحقه، بما ثبت في الآثار مما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وما قاله أصحابه والسّلف الصالح يرحمهم الله تعالى في شفاعة الكتاب الكريم، وحكمته، وأسراره، وآثاره في الدنيا وعوالم الآخرة.

وهذا الإنجاز البحثي في ظل رعاية حكومة دبي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء لأسرة آل مكتوم حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله، وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة، وتعنى بالدراسات القرآنية بكل إقدام، وفي مقدمتها **صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم**، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشيد مجتمع

المعرفة، ويرعى البحث العلمي ويشجع أصحابه وطُلابه.

راجين من الله العلي الكبير أن ينفع الأمة والإنسانية كلها بهذا العمل، وييسر أمورنا إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى الله وسلّم وبارك على النَّبيِّ الأميِّ الخاتم سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدكتور سيف راشد الجابري
مدير إدارة البحوث

بسم اللّه الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسـلام على مَنْ أرسـله اللّه رحمة للعالمين، وختم به الأنبياء والمرسـلين؛ سـيّدنا محمد بن عبد اللّه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على هديه بإحسان إلى يوم الدِّين.

أما بعـد:

فإنّ على المسـلم أن يتذكّر أنّ الشـفاعة المطلقة إنما هي للّه رب العالمين، فهو سـبحانه المتصرف بملكه كيـف يشـاء لا إله إلا هـو رب العـرش العظيـم، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾(١). ثـم إن هـذه الشـفاعة إذا تكـرّم بهـا سـبحانه، فمنحهـا أحداً من خلقه، أو شـرّف بهـا آخرين ليفيضـوا علـى الخلـق مـن فضلـه جـلّ جلالـه، فإنّها

---

(١) سورة الزمر، الآية ٤٤.

مشروطة بإذنه ورضوانه، قال سبحانه:﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾(١). ثم إن الذين تنالهم الشفاعة قد تجلّت عليهم نفحات رضوانه ومكارم رحمته سبحانه، فرضيهم لها، وتأهلت أرواحهم ليكونوا من أهل التشريف، وباتوا متنزلاً لفيوضاته وعفوه وإكرامه، قال تعالى:﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾(٢).

وهكذا فإنّ بعض أعمال الدنيا التي يقوم بها العبد توفر له إمكانية الحصول على فرصة الشفاعة الآنفة الذكر ـ في الآخرة ـ. وفي مقدمتها الشهادة بدين الله الحق، والعلم به، قال تعالى:﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٣).

---

(١) سورة طه، الآية ١٠٩ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٨. .

(٣) سورة الزخرف، الآية ٨٦.

والمسلم يحظى بالشفاعة، إذا وافق توجهه بالطاعة وقت الرضوان الإلهي، واستثمر فرصته الحياتية في الأوقات والأماكن الفاضلة، وسعى في تحقيق الإخلاص بالأفعال والشمائل التي يحبها اللّه جلّ جلاله، ورسوله صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلم.

ومن هذه الأعمال: كثرة العبادة، والسجود للّه تعالى، لما جاء في الأثر أنّ النبي الأكرم صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلم كان يبادر من يخدمه بالقول: (ألك حاجة؟) إرادة منه لقضائها، فذات يوم بادره أحد أولئك، فقال: يا رسول اللّه لي حاجة، قال: (وما حاجتك؟)، قال: أن تشفع لي يوم القيامة، بمعنى إرادته أن يكون مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وصحبه وسلم في الجنة، فهي نتيجة للشفاعة، فسأله النبي صلى اللّه عليه وسلم: (ومن دلَّك على هذا؟) أي من علّمك هذا القول فهو من الغايات التي

يغفل عنها الناس، فقال الرجل: ربي، فذكر له النبي عليه الصلاة والسلام وسيلة إذا التزمها الرجل ساقته إلى نيل الشفاعة وما وراءها من مرافقته صلى اللّه عليه وسلّم في الجنّة؛ فقال: «فأعنّي بكثرة السجود»(١).

ولاشك أنّ كثرة السجود فيها دلالة على كثرة القربات للّه رب العالمين ، وفيها اتصاف بما كان عليه مَنْ سمت روحه ليكون مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾(٢).

فتبصرهم راكعين ساجدين يطلبون بالركوع والسجود ـ بعد إيمانهم وتعاونهم وتحاببهم وتعاطفهم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٥٠٠. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٢٤٩: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيحين.

(٢) سورة الفتح، من الآية ٢٩.

مع بعضهم ـ الثواب من ربهم وهو الجنة، والرضا الأبدي. وتلحظ في وجوههم النور الذي يعرفون به يوم القيامة لما قدّموه من سجود في الدنيا ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ فعلامات إيمانهم وإشارات صفاء قلوبهم ظاهرة في وجوههم من أثر السجود، وهو الحال الذي يبعثون عليه يوم القيامة بما قدموه من امتثال الاستعداد الصحيح للسجود، فكأنها آثار الوضوء والصلاة ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾(١)، وتداخلها ـ في الدنيا ـ سيما التقوى والصلاح والتواضع واللين والرحم، وهذه العلامة قد يكون لها ثلاثة مظاهر:

الأول: هو يبوسة في الجبهة ولا يتعمدونها ولكنها تحدث من كثرة السجود على الأرض.

والثاني: الأثر النفسي من التواضع والخشوع ونور الصلاح.

---

(١) سورة التحريم، من الآية ٨.

والثالث: نور يوم القيامة يعلو وجوههم ويشهد له قوله تعالى ﴿نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾[1].

ومع أن السجود امتثال لأمر اللّه تعالى لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[2]؛ فإن له فضلاً عظيماً لما ثبت عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلّم في أكثر من حديث أنّه بيّن فضل التقرّب للّه تعالى بالسجود وحثّ أمته عليه؛ فهو من أحب الأعمال إلى اللّه تعالى حيث يُدخل صاحبه الجنة كما جاء في صحيح مسلم عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: لقيت ثوبان مولى رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم،

---

(١) ينظر الكشف والبيان، لأبي إسحاق الثعلبي النيسابوري، ٩/ ٦٥، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ٥/ ١٢٥، والبحر المديد، لأحمد ابن عجيبة الحسني الإدريسي ٧/ ٢١٨، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٥ / ١١٦- ١١٨ . وتيسير الرحمن في أحكام سجود تلاوة القرآن ٢-٤ .

(٢) سورة الحج، من الآية ٧٧.

فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة، أو قال: قلت: بأحب الأعمال إلى الله تعالى، فسكت. ثم سألته فسكت. ثم سألته الثالثة، فقال: سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال :«عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحطّ عنك بها خطيئة». **قال معدان: ثم لقيت أبا الدرداء فسألته، فقال لي مثل ما قال لي ثوبان**(١).

ثم إنّ من آثار السجود وكثرته لله تعالى: مرافقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة: لما ثبت في صحيح مسلم من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال

---

(١) أخرجه مسلم (بشرح النووي) كتاب الصلاة: باب فضل السجود والحث عليه، ٢/ ٤٤٣ ، برقم (٤٨٨). وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب الصلاة: باب ما جاء في كثرة الركوع والسجود وفضله ٢/ ٢٣٠، برقم (٣٨٨- ٣٨٩).

لي: «سل» **فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال صلى اللّه عليه وآله وسلم:** «أو غير ذلك؟» **قلت: هو ذاك، قال:** «فأعنّي على نفسك بكثرة السجود»(١).

وبالسجود وكثرته يرفع اللّه تعالى درجات العبد، ويحط به السيئات، لما ثبت عنه صلى اللّه عليه وآله وسلّم: «ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه سيئة»(٢). **وقد ثبت عنه صلى اللّه عليه وآله وسلم أنه قال:** «إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٥٩، ومسلم في صحيحه ١/ ٣٥٣، والنسائي في السنن٢/ ٢٢٧، والحسن الصنعاني في فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار١/ ٤٨٨، برقم (١٥٢٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل السجود والحث عليه، برقم (٤٨٨). وابن ماجه في السنن، باب ما جاء في كثرة السجود، برقم (١٤٢٢)، وذهب بعض المعاصرين إلى أنّه حسن صحيح.

من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود»(١).

ـ ومن الأعمال التي تُقرّب المسلم من الرضوان الإلهي وتُحقق له الشفاعة: المحافظة على قراءة الورد من القرآن كل يوم وليلة ، وترك جفوة القرآن، والحذر من هجرانه لئلا يكون المسلم ممن تشمله الآية: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾(٢)، فإن الوقوع في الجفاء والهجران يجر إلى خراب الروح والبدن، وظلامهما؛ بل إن للأوراد القرآنية أنوارها وفيوضاتها على مستوى اليوم والليلة، وآثارها الإيجابية عظيمة على الإنسان ومحيطه، وهي كثيرة ووفيرة؛ منها: التزام قراءة سورة الملك، لما جاء في الأثر الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، باب فضل السجود، برقم(٣٧٣) .

(٢) سورة الفرقان، الآية ٣٠.

وسلّم قال: «إنّ سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة (تبارك الذي بيده الملك)»(١).

وإذا كانت الشفاعة لها مفهومها، ومعانيها، وكتب فيها العلماء وبينوا تفصيلاتها، ومتعلقاتها، وأسباب استحقاقها، وصورها؛ فإنّ مما لابد للمسلم أن يتنبه إليه: هو خطورة الكذب في الشفاعة، أو التألّه على اللّه تعالى في منحها، أو منعها، فإنّها أمر عائد لقدرة اللّه تعالى وحُكْمه وحكمته، وإنّ الحق جلّ جلاله قد قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٣٨، وقال: حديث حسن. وقد أخرجه أبو داود في السنن ٢/ ١١٩، وابن ماجه في السنن أيضاً ٢/ ١٢٤٤، والإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣٢١. وابن حبان في الموارد، ص٣٢١، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٦٥، وقال: صحيح الإسناد.

حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾(١).

وصح عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه، أنه قال: «من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب»(٢).

وإذا ثبت للمسلم أن النبي الأكرم صلى اللّه عليه وآله وسلّم أخبر عن شفاعة القرآن، وما في سوره وآياته من بركات؛ فإن الواجب عليه السير باتجاه هذا السبيل الحق، فهو السبيل المضمون ظاهراً وباطناً، عاقبته الجنّة ورفعتها، وفيه البركة، وعوائد أجره عظيمة؛ فعلينا - أجيال الأمة الحاضرة واللاحقة - أن نوظف حياتنا في خدمة القرآن الكريم، ونجعل مسيرتنا الحياتية في ظلاله، وأن نستشرف نعماءه في

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢٥.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١١/ ٤٢٦: وأخرج سعيد بن منصور بسند صحيح عن أنس فذكره، ورواه الآجري في الشريعة، ص٣٣٧.

الليل والنهار، والسَّـفر والإقامة، والبـدو والحضر.. واللّه يتولانا ويرعانا بكلاءته، وحُسن توفيقه.

«اللهـم رب جبرائيـل وميكائيـل وإسرافيـل، فاطر السـموات والأرض، عـالم الغيب والشـهادة، أنت تحكم بـين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»(١).

---

(١) أخرجـه مسـلم في الصحيح من حديث السـيّدة عائشـة رضي الله عنها أن النبـي – صلى الله عليه وآله وسـلم– كان يفتتح به صلاة الليل وبلفظ (اهدني).

·· شفاعة القرآن ··

ثبت في الأثر، أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وعلى آله وسلّم قال: «الصّيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصّيام: أي ربّ منعته الطّعام والشّهوات بالنّهار فشفّعني فيه. ويقول القرآن: منعته النّوم باللّيل فشفّعني فيه. قال: فيُشفّعان»(١).

وجاء في الأثر عن ابن عمر رضي اللّه عنهما أنّه قال: يجيءُ القرآن يشفع لصحابه، يقول يا ربّ لكل عامل عُمّالةٌ من عمله، وإني كنت أمنَعُهُ اللذة والنوم، فأكْرِمْهُ، فيقال: ابسط يمينك، فَتُملأُ من رضوان الله. ثم يُقال: ابسُط شمالك، فتملأ من رضوان الله، ويكسى كِسْوةَ الكرامة، ويُحلّى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ١٧٤، ومحمد بن نصر المروزي في قيام الليل، ص٢٥، والحاكم في مستدركه على الصحيحين ١/ ٥٥٤، وقال: صحيح على شرط مسلم . وذكره الوادعي في الشفاعة ١ / ١٨٢، برقم(١٧٠) .

بحلية الكرامة، ويُلْبَس تاج الكرامة(١).

وفي ضوء ذلك يمكن للمسلم أن يفهم قول الحق تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾(٢)، **فالقرآن نور وسرور، وبهجة وحبور، وهو دستور حياة الأمة الإسلامية، ومصدرها الأول في الهداية والتوجيه إلى الخير والعدالة والرحمة، قال تعالى:** ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾(٣)، **وهو عصمة لمن تمسّك به، لا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، وهو الشفاء النافع لظاهر الإنسان وباطنه، قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن ٢/ ٥٢٢، برقم(٣٢١٧). وذهب بعض المعاصرين إلى أن إسناده حسن ورجاله رجال مسلم.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٤٥ .

(٣) سورة الإسراء، الآية ٩ .

لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾(٢).

ولهذا ولغيره .. فإنّ مذهب العقلاء في القرآن الكريم أنّه أولى ما تُصرف فيه نفائس الأيام، وأعلى ما يخص بمزيد الاهتمام، وأن مدار علوم الشريعة عليه وعلى سنّة رسول اللّه المصطفى صلى اللّه عليه وآله وسلّم، وأما بقية العلوم فهي آلات لفهمهما، وهي الضالة المطلوبة، أو أجنبية عنهما وهي الضارّة المغلوبة..ولمّا كان الكتاب الكريم أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم وأرقاها؛ لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم، كما ذهب إلى ذلك كافة العلماء. وكان للمشتغل بالقرآن أسمى المكانة عند اللّه تعالى ثم عند الناس في الدنيا والآخرة، قال صلى اللّه عليه وآله

---

(١) سورة يونس، الآية ٥٧ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٢ .

وسلّم: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه»(١).

ولما تقدّم وغيره أردنا أن نذكّر في هذه الصفحات بشفاعة القرآن الكريم لأهله، وعودة بركته على المشتغل به في حياته وبعد مماته؛ لما لذلك من نتائج عظيمة في تخريج أجيال تشتغل بالقرآن وتفنى في خدمته، وتنهض بالأمة لتصلها به، وتبصّرها بسبيله الحق، لا تحيد عنه إلى يوم الدِّين؛ وقد جاء في الأثر عن جبير بن مطعم رضي اللّه عنه، قال: كنّا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم بالجحفة فخرج علينا، فقال: «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأنّ القرآن جاء من عند الله؟» **قلنا: نعم، قال:** «فأبشروا فإنّ هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم؛ فتمسّكوا به؛ ولا تهلكوا بعده أبداً»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ٤/ ١٩١٩، برقم(٤٧٣٩).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير٢/ ١٢٦ ، برقم(١٥٣٩). وانظر مثل هذه المعاني في كتاب مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، للدكتور خالد اللاحم ، ص ١٥، ط٢/ ٢٠٠٧ .

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض»(١).

وللقارئ أن يستحضر عظمة الآيات الكريمة، ومكانتها عند الله عزّ وجل، وهو يقرأ حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسّلم : (إنّ سورةً من القرآن ثلاثون آيةً شفعت لرجل حتّى غُفر له. وهي سورة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [سورة الملك، الآية١]).(٢)

فأي كرامة فوق كرامة القرآن؛ سورة منه تشفع لصاحبها، وتحول بينه وبين العذاب، وتحوّل حاله إلى

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٦٣ ، برقم (٣٧٨٨). وقال: حديث حسن غريب، وصححه بعض المعاصرين.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن في فضائل القرآن ٤/ ٢٣٨، برقم(٢٨٩١)، وقال: هذا حديث حسن. وأخرجه أبو داود في السنن، في الصلاة ٢/ ١١٩، برقم(١٤٠٠)، وابن ماجه في السنن، في الأدب٢ / ١٢٤٤، برقم(٣٧٨٦)، والإمام أحمد في مسنده ٢ / ٣٢١، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ١ / ٥٦٥، وقال: صحيح الإسناد.

الغفران(١).

ـ وحديث آخر يرويه أبو أمامة الباهلي فيقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم يقول: «اقرؤوا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزّهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنّهما تأتيان يوم القيامة كأنّهما غمامتان –أو كأنّهما غيايتان(٢) أو كأنّهما فرقان– من طير صوافّ تحاجّان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة

---

(١) وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: يؤتى الرجل في قبره، فتؤتى رجلاه فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل، كان يقوم يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى من قبل صدره، أو قال: بطنه، فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى من قبل رأسه، فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك. قال: فهي المانعة تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك، مَنْ قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب. أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ٢/ ٤٩٨، وقال: صحيح الإسناد.

(٢) الغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها. ينظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ٤٠٣.

فإنّ أخذها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة»(١).

- وللقرآن شفاعة الكرامة والرضوان؛ ترفع مكانة صاحبه والمشتغل به، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلّم قال: «يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا رب حَلِّه، فيلبس تاج الكرامة. ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حُلَّة الكرامة. ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق، وتزاد بكل آية حسنة»(٢).

ولاشك أن أهل الاشتغال بالقرآن، هم حفظة القرآن، العاملون به، وهم أهل الله، أهل الكفاية والقناعة، وإجابة الدعوة، وهم المهرة في قراءة القرآن،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، برقم(٨٠٤). وبرقم(١٣٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن الكريم ما له من الأجر، برقم(٢٩١٥)، وقال: حديث حسن صحيح.

الذين يحيون معه، وتحفّهم الملائكة، ولهم من اللّه تعالى ما ليس لغيرهم؛ فهو جلّ جلاله يرعاهم و يحفظهم و يحبهم ويكرمهم، وقد جاء في الأثر : عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السَّكِينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»⁽¹⁾، **ومما جاء في الأثر أيضاً : أنّ النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، قال:** «إن لله أهلين من الناس» **قيل: مَنْ هم يا رسول اللّه؟ قال:** «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»⁽²⁾.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ١/ ٥٤٤، برقم (١٤٥٧)، وصححه بعض المعاصرين.

(٢) أخرجه النسائي في سننه ٥/ ١٧ ، برقم (٨٠٣١) . والحاكم في المستدرك على الصحيحين ١/ ٧٤٣،برقم (٢٠٤٦).

·· بركة القرآن الكريم على المشتغل به ·· في حياته وبعد مماته

إن بركة القرآن على المشتغل به عظيمة، وكبيرة؛ منها:

- **محافظته على عقول أهله وأفضليتهم في الإيمان**، فمن ذلك ما جاء في الأثر: «أبقى الناس عقولاً قرّاء القرآن»(١)؛ دلالة على ما شهدته الأمة من حضور بركة القرآن والعلم به في حياة أهله وإن طالت أعمارهم، وهو كثير في صفحات أمة القرآن، وفيه إشارة لنور أهله، وبقاء عقولهم تعمل في منظومة القرآن العلمية والأخلاقية والعملية؛ يتعلّمون ويُعلّمون، ويعظِون الناس بمعارفه، وتتعظ به نفوسهم، فتفيض على سائر البشرية.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٥٥٧ ، برقم (٢٧٠٨)، (عن عبد الملك بن عمير أنّه قال: كان يقال..) وساق الأثر ، وجاء في مصنّف ابن أبي شيبة ٦/ ١٢٠، برقم (٢٩٩٥٦) . والعمر والشيب، لابن أبي الدنيا ١/ ٧٥، برقم (٨٠).

ـ كذلك من بركة الاشتغال بالقرآن على أهله؛ انتفاء مرورهم بمرحلة أرذل العمر، فمما سجّله التاريخ لأهل القرآن: أن عموم أيام حياتهم، ولاسيما الأخيرة منها شهدت تميّزاً في الأداء، فانتفت عنهم صفة الدخول في بوتقة أرذلية العمر التي وصف القرآن بها بعض بني الإنسان، بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴾(١)، وقد ذكر بعض المؤرّخين لابتداء مرحلة النسيان هذه، أو ذهاب العقل تواريخ كثيرة، ووصفوا هذه المرحلة بالخوف والخَرَف(٢).

---

(١) سورة النحل، الآية ٧٠.

(٢) ويسميه بعض العلماء بالزهايمر؛ الذي هو بمثابة مرض تنكسي بدئي. وهناك من اعتبره مرضاً عقلياً ذهانياً يصيب الخلايا العصبية في المخ، ويؤدّي إلى إفسادها وإلى انكماش حجم المخ. كما يصيب الجزء المسؤول عن التفكير والذاكرة واللغة؛ إذ يظهر على المريض تناقص في الذاكرة والذكاء، ويمكن أن يتسبب في أمراض أخرى كاختلال العقل، وانخفاض القدرات العقلية لكبار السن. وشخّصه كثيرون بالداء الخطير والمميت، وعزوا تفاقمه تدريجياً؛ لترسب بعض البروتينات المسماة «أميلويد» على مسالك الأعصاب، مما يؤدي إلى خلق تشوهات =

وقد كان من هدي النبي الأكرم صلى اللّه عليه وآله وسلّم الاستعاذة باللّه تعالى من أن يُردّ إلى أرذل العمر كما حدَّث بذلك أنس بن مالك رضي اللّه عنه: أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلّم كان يدعو: «أعوذ بك من البخل، والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة الدّجال، وفتنة المحيا، وفتنة الممات»⁽¹⁾.

وقد كان سعد بن أبي وقاص رضي اللّه عنه يعلّم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلّم المعلّم الغلمان الكتابة، ويقول: إن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله

= في تلك المسالك. كما أن الملايين من خلايا الأعصاب تتلف فيتقلص حجم المخ. ويعبّر عنه بعضهم بالمرض الانحلالي التقدمي (متقدم أو مترقي) ؛ أي يحدث للمخ مع ازدياد العمر وتقدمه، ويقود في نهاية المطاف إلى الخرف أو العته. ينظر كتاب (خرف الشيخوخة (الزهايمر) مرض فقدان الذاكرة khrf alshikhoukhah (a'lzhaimr) mrdh fkdan althakrah، لغسان جعفر)، وكتاب(MAYO CLINIC حول داء الزهايمر MAYO CLINIC houl da'a a'lzhaimr، لرونالد بيترسن ،ترجمة، وتحقيق: مركز التعريب والبرمجة، الدار العربية للعلوم).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ٤/ ١٧٤١ ، برقم (٤٤٣٠).

وسلّم كان يتعوّذ منهنّ دبر الصلاة، يقول: « اللهم إني أعوذ بك من الجُبْن، وأعوذ بك أن أُردّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر»(١).

ولا شك أن سياق العودة إلى أرذل العمر يتّضح بما يصوّره القرآن؛ فإنما يُردّ الإنسان إلى أرذل العمر ليعود

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ٣/ ١٠٣٨، برقم (٢٦٦٧). وجاء في المستدرك على الصحيحين ١/ ٧١٦ ، برقم (١٩٥٧) عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يُسمع، ونفس لا تشبع، ومن الجوع فإنّه بئس الضجيع ، ومن الخيانة فإنها بئست البطانة، ومن الكسل والبخل والجبن، ومن الهرم، ومِن أن أرد إلى أرذل العمر ، ومن فتنة الدجال، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، اللهم إنا نسألك قلوباً أوّاهة مخبتة منيبة في سبيلك، اللهم إنا نسألك عزائم مغفرتك، ومنجيات أمرك، والسَّلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنّة ، والنجاة من النار». وكان إذا سجد قال: «اللهم سجد لك سوادي وخيالي، وبك آمن فؤادي، أبوء بنعمتك عليّ وهذا ما جنيت على نفسي، يا عظيم يا عظيم اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب العظيمة إلا الرب العظيم». وقال الحاكم عَقِبه: هذا حديث صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرجا عن حميد الأعرج الكوفي إنما اتفقا على إخراج حديث حميد بن قيس الأعرج المكي، فأما أول الحديث في الاستعاذة من الأربع فقد روي عن أبي هريرة وعبد الله ابن عمرو. ثم ساق روايتيهما.

جاهلاً كما كان في حال طفولته وصباه، «لا يعلم بعد علم شيئاً» يقول: لئلا يعلم شيئاً بعد علم كان يعلمه في شبابه، فذهب ذلك كلّه بالكبر، ونسي فلا يعلم منه شيئاً، وانسلخ من عقله فصار من بعد عقل كان له لا يعقل شيئاً(١).

وقد جاء في الأثر عن عكرمة رحمة الله عليه أنّه قال: « من قرأ القرآن لم يردّ إلى أرذل العمر»(٢).

ـ ومن بركة الاشتغال بالقرآن الكريم تحقق الإيمان لدى المشتغل به، وبالنتيجة تتحول هذه البركة إلى ظاهرة في المجتمع المشتغل بالقرآن(٣)؛ إذ يُعد أهله أفضل أهل الإيمان إيماناً، ومدنهم وقراهم أفضل الأماكن بركة بنور القرآن، ولقد سجّل التاريخ أن هذه الميزة تمتع بها عظماء الإسلام الخاتِم بدءاً بسيدنا رسول الله محمد صلى الله

---

(١) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ١٤٢. الدر المنثور ٥/ ١٤٧ .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ١٢٠ ، برقم (٢٩٩٥٧).

(٣) ينظر كتابنا«أثر القرآن في سلوك المجتمع المسلم»، ص ١٤١، و١٥٤.

عليه وآله وسلّم، وكذلك آل بيته الأطهار، وصحابته الأخيار، وسائر سلف الأمة الصالح ممن تطمح النفوس إلى الوصول إلى ما كانوا عليه من هدى، وتتشوق الأرواح لتحصيل شيء مما نالوه من التقى وآثاره، وتعلو الهمم لبلوغ الرتب التي بلغوها أو مقاربتها أو التشبّه بأهلها، وإلى تجنّب سائر المهلكات وما يوقع في الردى مما اجتنبوه في حياتهم.

وهنا تنبّه - يا رعاك اللّه - إلى بشارات النّبي الأكرم صلى اللّه عليه وآله وسلّم، وهو يحفظ لأجيال الأمة السابقة واللاحقة حقّهم في الرّتب والدَّرجات، ويبيّن عظيم فيض فضل اللّه تعالى عليهم ومنّه وكرمه؛ فيما يرويه عمر رضي اللّه عنه قال: كنت مع النبي جالساً فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلّم: «أتدرون أي أهل الإيمان أفضل إيماناً ؟ **قالوا : يا رسول اللّه؛ الملائكة، قال:** هم كذلك، ويحق ذلك لهم،

ومـا يمنعهم وقد أنزلهـم الله المنزلة التي أنزلهم بها؛ بل غيرهم. **قالوا: يا رسـول اللّه، فالأنبياء الذين أكرمهم اللّه تعالى بالنبـوة والرّسـالة. قـال:** هـم كذلـك، ويحق لهم ذلـك وما يمنعهـم وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها؛ بل غيرهم**! قال عمر: قلنا: فمن هم يا رسـول اللّه ؟! قال:** «أقوام يأتون من بعـدي في أصـلاب الرجال فيؤمنـون بي ولم يـروني، ويجدون الـورق المعلّـق فيعملـون بما فيه، فهـؤلاء أفضل أهـل الإيمان إيماناً»(١)، **ولاشك أنّهم أهل العمل بالقرآن، المتمسكون بهديه، الثابتون علـى الحق والفضيلة، مهما تبدّل وجه الدنيا أو تغيّرت ظروفها ـ وازدادت محنها ـ ومشكلاتها.**

ومـن المعلـوم أن تحقـق الإيمـان في القلـب يدفع صاحبـه إلى التحقـق في حـبِّ وسـيلة وصولـه المتمثلة برسـول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسّـلم، ورحمته المهداة

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤/ ٩٥ ، برقم (٦٩٩١)، وقال: هـذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

للعالمين؛ باعتباره البشير والنذير من اللّه تعالى، وأنّه بُعث من أجل بعث الإيمان في الأرواح والأبدان، وقد جاء في الصحيح عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين». **وقوله صلى اللّه عليه وآله وسلّم:** «ثلاث من كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحبّ المرء لا يحبّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»(١).

وبما تقدّم ـ وغيره كثير ـ تتعلّم الأجيال المسلمة الحاضرة والقادمة أنّ بركة الاشتغال بالقرآن الكريم والتزام تعاليمه؛ عظيمة على صاحبه، إيماناً وعلماً ونوراً وعملاً؛ وهذه البركات تشمل الاشتغال بما ثبت عن النبي الكريم صلى اللّه عليه وآله وسلّم

---

(١) أخرجهما الإمام البخاري في الصحيح ١ / ١٤ ، برقم (١٥ و ١٦).

باعتباره الشارح للقرآن الكريم، والمعرِّف بمراد الوحي الإلهي، ويدخل في ذلك أيضاً: الاشتغال بمعرفة ما جاء في شرحهما ـ القرآن والسنة ـ عن علماء الأمة، وإصلاح السلوك في ظلالهما؛ فذلك هو السبيل الواضح في النهوض بالروح والبدن، وإصلاح النفس، واستقامة منظومة السلوك الفردي والأُسري والأممي⁽¹⁾.

ـ **ومن بركة القرآن الكريم على المشتغل به في حياته؛ أنه يتقلل من الدنيا ومتاعها لعظيم ما أكسبه القرآن من خبرة معرفية بحقيقة الدنيا**، وصغرها أمام حقيقة الآخرة ونعيمها، وأنّ ما عند اللّه تعالى خير وأبقى؛ إذ جاءت كتب السِّير تصف أحوال أهل القرآن، وكثرة بكائهم، وقنوتهم للّه تعالى، وفقرهم إليه، وظهور تعففهم في غالب حالاتهم؛ فمن ذلك ما جاء في سيرة الإمام أبي بكر

---

(١) وللعيش في ظلال هذه المعاني يمكنك العودة إلى كتابنا «أسس البناء الروحي للأمة من خلال القرآن الكريم وأقوال السلف» وهو من مطبوعات دار القلم العربي بحلب، سنة ٢٠١٠م.

الخياط البغدادي المقرئ (ت٤٦٧هـ) رحمة الله عليه، أنّه كان كبير القدر، عديم النظير، بصيراً بالقراءات، صالحاً عابداً ورعاً، بكّاءً، قانتاً، خشن العيش، فقيراً متعففاً، ثقة فقيهاً على مذهب الإمام أحمد بن حنبل(١).

- وظهر ذلك الفقر والصلاح والتعفف في سلوك وحياة أبي الفضل الإمام أحمد بن الحسن البغدادي (ت٥٣٠هـ) رحمة الله عليه، لكثرة اشتغاله بالقرآن، حتى قيل في سيرته: كان إماماً مقرئاً مجوّداً، فقيراً صالحاً متعففاً(٢).

وشاع التقلل من الدنيا وأثقالها عند مَنْ فهم مراد الله تعالى في القرآن الكريم، لاسيما وأن العديد من آياته تتحدّث عن أفضلية ما عند الله تعالى، وأن الآخرة

---

(١) ينظر الوافي بالوفيات، للصفدي ٤/ ١٣٦، ومعرفة القراء الكبار، للذهبي ١/ ٤٢٦، برقم (٣٦٥)، وشذرات الذهب، لابن العماد ٣/ ٣٢٩.

(٢) ينظر المنتظم لابن الجوزي ١٠/ ٦٢، ومعرفة القراء الكبار، للذهبي ١/ ٤٧٨، برقم (٤٢١).

خير من الأولى(١)، وأن الله تعالى يمنح عباده المؤمنين ثوابي الدنيا والآخرة بقوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾(٢)، وقد فهم أهل القرآن الدنيا، وعرفوا حجمها ومكانتها مقارنة بعظمة الآخرة ومتاعها ودرجاتها، وما أعدّه الله عزّ وجلّ لعباده الموحدين فيها؛ لمّا باشر خطاب الحق تعالى قلوبهم وعقولهم، وحكّموه في حياتهم الظاهرة والباطنة، ومواقفهم في الرخاء والشدّة، ولاسيما قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾(٣).

---

(١) كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ سورة الضحى، الآية ٤.

(٢) سورة النساء، الآية ١٣٤.

(٣) سورة التوبة، الآية ٣٨.

- ومن أولئك الذين تجلّت عليهم بركة القرآن الإمام الزاهد الحسن ابن صدقة الأزدي الصّقلي (ت٦٦٩هـ) يرحمه اللّه، إذ جاء في خبره أنّه كان من أهل القرآن، ومن السّادات في زهده، وتعبّده، وتقلله، وكان وافر الحرمة، ساعياً في قضاء الحقوق، له مهابة وقبول تام، وكان صاحب كرامات(١).

- **ومن عودة بركة القرآن على المشتغل به في حياته؛ تحقق استلذاذه بمناجاة اللّه عزّ وجلّ، وكثرة الخشوع له، والورع من الشبهات التي توقع فيما لا يرتضيه جلّ جلاله**، وظهرت هذه البركة في الأخبار التي تُحرر فضل الإمام يعقوب بن إسحاق (ت٢٠٥هـ) رحمة اللّه عليه؛ قارئ أهل البصرة في عصره، إذ لم يُر في زمانه مثله، وكان عالماً بالعربية ووجوهها، والقرآن واختلاف قراءاته، فاضلاً

---

(١) ينظر معرفة القرآء الكبار ٢/ ٦٧٥، برقم(٦٤٢)، وغاية النهاية ١/ ٢١٩، وشذرات الذهب ٥/ ٣٢٨.

تقيّاً نقيّاً، ورعاً زاهداً، بلغ من خشوعه أنّه سُرق رداؤه عن كتفه في الصلاة، ولم يشعر، ورُدّ إليه ولم يشعر لشغله بالقرآن والصلاة واستلذاذه بمناجاة ربّه⁽¹⁾.

- وجاء ذلك أيضاً في خبر أبي الفضل صافي بن عبد اللّه البغدادي (ت٥٤٦هـ) رحمة اللّه عليه، إذ ظهر في سيرته عظيم تأثّره بالقرآن الكريم، وعودة بركة الكتاب العزيز عليه إيماناً وتربية وسلوكاً؛ فكان مع إقرائه الناس القرآن الكريم وبإسناده العالي؛ كثير التعبد، والأوراد، والتربية الذاتية لنفسه ولأبناء المسلمين؛ فهو يجمع بين العلم والعمل، والفيض على الآخرين بمعانيهما⁽²⁾.

---

(١) تنظر طبقات ابن سعد ٧/ ٣٠٤، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٩٠-٣٩٢، وتهذيب التهذيب ١١/ ٣٨٢.

(٢) تنظر معرفة القراء الكبار ١/ ٥٠٣، برقم(٤٥٤)، وغاية النهاية ١/ ٣٣١.

- **ومن بركة القرآن وعودة ذلك على المشتغلين به: ظهور حالة الصلاح في الأمة ومجتمعها المسلم، وإشاعة ثقافة الزهد، والتزام الجهاد بين أبنائه**؛ من ذلك ما جاء في سيرة أبي محمد عبد اللّه بن خلف ابن بقي الأندلسي (ت ٥٤٣ هـ) رحمة اللّه عليه، أنّه مع براعته في القراءات ورئاسته فيها، كان رأساً في الصلاح والزهد والجهاد، وهذا كثير في أهل القرآن(١).

- **ومن بركة الاشتغال بالقرآن تفشي ثقافة التعامل مع الخلق بالوُد والتواضع**؛ فمن ذلك ما جاء في سيرة أحد أبناء الأمة الإمام أبي محمد عبد اللّه بن علي البغدادي النحوي (ت٥٤١هـ) رحمة اللّه عليه، إذ كان أطيب أهل زمانه صوتاً بالقرآن الكريم، ورئيساً للمقرئين في عصره، وإماماً محققاً واسع العلم والاطلاع، متين الديانة، قليل المثل، حتى سمّاه أهل السّير بـ(جمال

---

(١) تنظر التكملة لكتاب الصلة ٢/ ٢٥٩، برقم(٧٥٠)، وغاية النهاية ١/ ٤٨١.

العراق)، كان ظريفاً كريماً، متواضعاً متودداً على كبر سنّه ومكانته، يشيع هذه الثقافة بين أبناء المسلمين بذاته ومنهجه⁽¹⁾.

ـ **ومن بركة القرآن والاشتغال به؛ أنّه يفتح الآفاق الذهنية لأهله، وينشّط قدراتهم الاستيعابية، ويمنحهم الموسوعية في فهم المشكلات وإيجاد حلولها، ويمدّهم بمفاتح العلوم ووسائل حفظها وتحصيلها واستدامتها**، وتتسع بركته على أصحابه لتمنحهم علوّ الهمّة في طلب العلوم، ومزيد حرص على تحصيل الفوائد، وتحصين الفهوم، وانتظام السلوك في الرغبة بالعلم وبتلقيه، ومن ذلك ما جاء في سيرة الإمام يوسف بن علي الـهُذلي المغربي(ت٤٦٥هـ) رحمة اللّه عليه؛ إذ بلغ عدد شيوخه الذين قرأ عليهم العلم وطلبه منهم (٣٦٥) شيخاً، وقد وثّق ذلك لنفسه، بقوله: «فجملة مَنْ لقيتُ في هذا العلم

---

(١) تنظر التكملة لكتاب الصلة ٢/ ٢٥٩، برقم(٧٥٠)، وشذرات الذهب ٤/ ١٢٨.

ثلاث مئة وخمسة وستون شيخاً، من آخر المغرب إلى باب فرغانة يميناً وشمالاً وجبلاً وبحراً ، ولو علمتُ أحداً يقدّم عليّ في هذه الطريقة ، في جميع بلاد الإسلام لقصدته»(١). وقد كان رحمة الله عليه يحضر مجلس الإمام أبي القاسم القشيري، ويقرأ عليه في الأصول، وكان القُشيْري يراجعه في مسائل النحو.

- **ومن ظاهر بركات القرآن الكريم على الأمة وأبنائها؛ حرصهم وأُسَرهم ومجتمعاتهم على كتابة العلم وطلبه، والتطور فيه**، وإن كلّفهم ذلك زهرة الشباب ووقت قوّته، أو تعرّضت أجسادهم وحواسّهم لبعض الآثار السلبية نتيجة المثابرة الجادّة في طلب العلم؛ ومن ذلك ما حدَّث به أبو عمرو الداني عن شيخه الإمام خلف ابن إبراهيم المصري (ت٤٠٢هـ) رحمة الله عليه ، وكان

---

(١) تنظر معرفة القراء الكبار ١/ ٤٢٩، برقم(٣٦٧)، وشذرات الذهب ٣/ ٣٢٣.

أحد الحُذّاق في القراءات، فقال: كان ضابطاً لقراءة ورش، متقناً لها مجوّداً، مشهوراً بالفضل والنُّسك، واسع الرواية، صادق اللهجة، كتبنا عنه الكثير من القراءات والحديث والفقه، سمعته يقول: كتبتُ العلم ثلاثين سنة، وذهب بصرُه دهراً، ثم عاد إليه، وكان يَؤُمُّ بمسجد في مصر(١).

ـ **ومن مظاهر بركة الاشتغال بالقرآن وعودة ذلك على أهله: أنه يؤثّر في إصلاح السلوك تأثيراً إيجابياً، ويوجّه نحو تربية الرّوح وتنقية البَدَن،** والرُّقي بالعقل ليصل إلى أسمى المستويات الإدراكية، وترجع بركاته على صاحبه في الحياة وبعد الممات؛ من ذلك ما جاء في سيرة الإمام أبي محمد دعوان بن علي الجبي البغدادي الحنبلي (ت٥٤٢هـ) رحمة الله عليه، أنّه قرأ القراءات، وتفقّه فأحكم الفقه، وكان ذكياً عارفاً حافظاً،

---

(١) تنظر معرفة القراء الكبار١/ ٣٦٤، برقم(٢٩٣).

ثقة دينًا ذا ستر وصيانة وعفاف، ومتصوفاً على طريقة السّلف المحمودة رحمهم اللّه رحمة عامّة - أي جامعاً بين العلم والعمل، ومتمسِّكاً بالثابت من هدي النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم في الأقوال والأفعال والأحوال -⁽¹⁾. مات يرحمه اللّه في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، ورُئي بعد موته بخمس وعشرين سنة في المنام وعليه ثياب شديدة البياض، وعمامة مليحة، ووجه عليه نور فأخذ بيد الرائي مشياً إلى صلاة الجمعة، فقال له: يا سيدي ما فعل اللّه بك؟!، فقال: عُرضت على اللّه خمسين مرة، فقال لي: أي شيء عملت؟ فقلت: قرأتُ القرآن وأقرأتُه، فقال لي: أنا أتولاك أنا أتولاك⁽²⁾.

---

(١) ينظر المنتظم ١٠/ ١٢٧، برقم(١٨٩)، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٥٠١، برقم (٤٥١). وغاية النهاية في طبقات القراء ١/ ١٢٣.

(٢) تنظر غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ١٢٣.

- **ومن بركة الاشتغال بالقرآن أن ينهض بصاحبه ليتمسك بالهدي النبوي في سلوكه الخاص والعام**، فيعمد إلى حفظ الأوقات واستثمارها بالمفيد، واستعمال السنّة في غالب أموره، ومن ذلك ما جاء في سيرة وسلوك شيخ العراق في عصره الإمام أبي أحمد ابن سُكَيْنة البغدادي (ت٦٠٧هـ) رحمة اللّه عليه؛ إذ كان إماماً صالحاً قدوة، مجوّداً كثير المحاسن، عُمِّرَ حتى حدَّث بجميع مروياته مراراً، وقصده الطلبة من البلاد، وكانت أوقاته كلّها محفوظة، فلا تمضي له ساعة إلا في قراءة، أو ذكر، أو تهجّد، أو تسميع، وكان كثير الحج والعمرة، والمجاورة، والطهارة، لا يخرج إلا لحضور جمعة أو عيد أو جنازة، ولا يحضر دُور الرؤساء، ويديم الصوم غالباً، ويستعمل السُنّة في أموره، ويتواضع لجميع الناس، وكان ظاهر الخشوع، غزير الدَّمعة، وقد ألبسه اللّه رداءً جميلاً من البهاء، وحُسْن الخلقة، وقبول الصورة،

ونور الطَّاعة، وجلالة العبادة، وكانت له في القلوب منزلة عظيمة، وَمَنْ رآهُ انتفَعَ برُؤْيته، فإذا تكلّم كان عليه البَهَاء والنور، لاَ يُشْبَعُ مِنْ مُجَالَسَتِهِ، صحبه ابن النجار قريباً من عشرين سنة، وتأدّب به، وخدمه، وكان طاف البلاد فما رأى أكمل منه، ولا أكثر عبادة، ولا أحسن سَمْتاً؛ كلّ ذلك ببركة القرآن وعلمه، وظهور أثره في سلوكه وسائر أحواله، رحمة اللّه عليه(١).

ـ ولعل من بركة القرآن على الأمة أنه يحفزها لتنفيذ الأوامر الإلهية والانتهاء عن النواهي، وهو بأسلوبه وترغيبه وترهيبه، ووعده ووعيده، له تأثيره الآسر، وبعثه القاهر، وتمكينه القادر؛ فغيّر حياة المشتغلين به نحو السعادة والطاعة للّه تعالى ولرسوله صلى اللّه عليه وآله وسلّم؛

---

(١) ينظر سير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٣-٥٠٤، برقم(٢٦٢)، وشذرات الذهب٥/ ٢٥-٢٦.

ومن صورها: تمسّك الأمة بالأوامر الإلهية كالصلاة، والصيام، وسائر ما جاء الحثّ عليه في القرآن الكريم، كالقيام بالحقوق، والإنفاق على الأرامل والأيتام؛ مع الحرص على أن تكون سائر خطوات أبنائها مبنيّة على أسس صحيحة من العلم والمعرفة، ليحفظ لها مكانتها عند اللّه تعالى، ويعود بالبركة على أبنائها في حياتهم وبعد وفاتهم. وكذلك توجيهه الأمة وأبناءها إلى الحكمة التي تقطفها من الطاعة والامتثال لأوامر اللّه تعالى وهي التقوى، كما في قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾(١).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

واستفاضت أخبار بركة القرآن في حياة المشتغلين به في السِّير والتاريخ والواقع؛ ومنها ما جاء في سيرة شيخ القراء العلاّمة القُدوة أبي الحسن علي ابن محمد بن علي بن هذيل البَلَنسي الزاهد (ت٥٦٤هـ) الذي رحل إلى منازل الآخرة عن ثلاث وتسعين سنة رحمة اللّه عليه، إذ كانت حياته حافلة مع القرآن، تعلّم وسمع وتفقّه حتى انتهت إليه رئاسة الإقراء في زمانه، وروى العلم نحواً من ستين سنة، وكان منقطع القرين في الفضل والدِّين والورع والزّهد مع العدالة والتواضع، والتقلل والإعراض عن الدنيا، صوّاماً قوَّاماً، كثير الصدقة على الأرامل واليتامى، حتى قيل له: إنّك لتسعى بهذا في فقر أولادك - أي لكثرة تصدّقه -! فقال: لا واللّه بل أنا شيخ طمّاع أسعى في غناهم. إشارة منه إلى الادخار للآخرة(١).

---

(١) تنظر تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٢٠، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٥١٧، برقم(٤٦١)، وشذرات الذهب ٤/ ٢١٢.

- وظهرت كرامة الاشتغال بالقرآن الكريم، وبركته، على أصحابه من خلال تحلِّيهم بالفضائل، وأسمى الشمائل، مما كان عليه صلى اللّه عليه وآله وسلّم في سلوكه مع أبناء الأمّة المسلمة وأُسَرِها ومجتمعاتها، كالتحلي بالجود والإيثار والمحافظة عليهما تجاه طلاب العلم، وإحيائهما في الأمّة، لما لذلك كلّه من بركة على المسلم في حياته وساعة موته وبعد رحيله؛ ومن أولئك الذين أشرقت بهم سطور التاريخ، وهي تروي سِيرتهم في الرجال النجباء، الإمام المفسّر محمد بن الحسن النقّاش الموصلي (ت٣٥١هـ) رحمة اللّه عليه، كان ممن انفرد بالإمامة في القراءات، والتفسير، والسُّنَن النبوية، طاف في البلاد الإسلامية طلباً للعلم وتعليماً له، مع ما ظهر من نُسُكه وورعه، وسخائه، وحُسن خُلُقِه، وصِدق لهجته، واتساع معرفته؛ وقد حدّث أبو الحسن ابن الفضل القطّان أنّه حضر ساعة وفاة النّقاش، وهو يجود بنفسه،

فجعل يُحرّك شفتيه، ثم نادى بصوت مسموع: ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ﴾(١)، يرددها ثلاثاً، ثم خرجت نفسه رحمة الله عليه(٢).

- **ومن الذين ظهرت عليهم بركة القرآن وبشارته ساعة موتهم** شيخ الشيوخ، الشيخ الصالح، أبو البركات، إسماعيل بن أبي سعد أحمد بن محمد النيسابوري؛ إذ قال فيه السّمعاني: وقور مهيب، على شاكلة حميدة، ما عرفتُ له هفوة، قرأتُ عليه الكثير، وكنت نازلاً برباطه.. وقال ابن النجار: سمعت ابن سُكَيْنة - أي أحمد سبط أبي البركات - يقول: كنت حاضراً لـمّا احتضر، فقالت له أمي: يا سيدي، ما تجد؟ فما قدر على النطق، فكتب على يدها: ﴿ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٦١.

(٢) ينظر معرفة القراء الكبار ١/ ٢٩٤، برقم(٢٠٩)، وطبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٤٥-١٤٦، برقم (١٣٠).

نَعِيمٍ﴾(١)، ثـم مات في عاشـر جمادى الآخرة سـنة إحدى وأربعين وخمـس مئة، وعملوا لموتـه وليمة بنحو ثلاث مئة دينار لكثرة توافد الناس على أهله(٢).

وبهـذه الإشراقة ـ وغيرها كثير ـ تستذكر الأمة أن القرآن الكريم نعم الرفيق في الدنيا، ونعم الشـفيع في الآخـرة، وأنّ أهلـه هـم أولئـك الفضـلاء، ومناهجهم هــي أفضل المناهج في التعامل مع الحياة، ولا سـيما مع كثرة تمسكهم بالبذل في سـبيل اللّه تعالى، وإدامة المعـروف مـن أجل رضوانه جـل جلاله، وهـذه البركات القرآنية كلّها مما تحفظ أصحابها من مصارع السـوء، وتحثهم على الاشتغال بآيات القرآن الكريم، وتطبيق ما اسـتحثّ اللّه تعالى الأمة على فعله فيه؛ فهو السبيل

---

(١) سورة الواقعة، الآية:٨٩.

(٢) ينظر سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٦٠-١٦١، برقم(٩٥)، وشذرات الذهب ٤/ ١٢٨.

الحق في تحصيل النجاح والفلاح، والتوفيق لحُسن الخاتمة.

- **ومن بَرَكة كثرة الاشتغال بالقرآن الكريم: التمتّع ببقاء الحواسّ سليمة صالحة**؛ فمن ذلك ما جاء في سيرة الإمام يحيى بن أحمد السّيْبي (ت٤٩٠هـ) رحمة الله عليه، مات وله مئة وسنتان، وكان قرأ القرآن الكريم ببغداد على شيوخها، وكان حسَن الإقراء مجوّداً عارفاً، خيّراً ديّناً صالحاً، ممتَّعَاً بقواه⁽¹⁾.

وغير ذلك كثير وفير في تاريخ وسِير أبناء الأمة ممن طال عمره وحَسُن عمله في ظلال بركة القرآن؛ وهنا لك أن تستذكر - يا رعاك الله - ما جاء في الأثر؛

---

(١) ينظر غاية النهاية ٢/ ٣٦٥، برقم(٢٠٩). وقال صاحب (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)، في حوادث السنة الثالثة من خلافة المستعلي أحمد، وهي سنة تسعين وأربعمائة: «وفيها توفي يحيى بن أحمد السيبي. مات في شهر ربيع الآخر وعاش مائة وثلاثاً وخمسين سنة وثلاثة أشهر وأياماً؛ وكان صحيح الحواس، يقرأ عليه القرآن، ويسمع الحديث، ورحل الناس إليه. وكان ثقة صالحاً صدوقاً».

أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الناس خير؟، قال: «مَنْ طَالَ عُمرُهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ، **قال: فأي الناس شر؟ قال:** مَنْ طَالَ عُمرُهُ وَسَاءَ عَمَلُه»⁽¹⁾.

ولا شك أنّ الاشتغال بقراءة القرآن الكريم وتعلّمه وتعليمه يعد من أحسن الأعمال وأسماها، وأنّ التحول من اللفظ إلى الفهم والتدبّر يُعد من أهم المقاصد التي تحث عليها الآثار الكريمة، وهو المقصود الأعظم، والمطلوب المهم، الذي به تنشرح الصدور، وتستنير العقول والقلوب وتسعد الأرواح والأبدان⁽٢⁾.

ـ ومن بركة القرآن الكريم: أن ينشرح صدر صاحبه، فيفهم أسباب الخلق والإيجاد، ويتعرف على السنن الكونية في ضوء فهمه للسنن الإلهية وآثارها الواردة فيه، ويظهر بحلّة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٤/ ٥٨، برقم (٢٠٤١٥)، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه. وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٦٦، برقم (٢٣٣٠). وقال عَقِبه: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) كما ذهب إلى ذلك الإمام السيوطي يرحمه الله في الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٠٦.

الفهم لمنظومته، ويعيش في ظلال معانيه، ويتحقق له الإكرام بحسن الخاتمة في ضوء هديه؛ وهنا ندرك كيف يمنح الله تعالى أهل القرآن والمشتغلين به الهمّة في أن تسمو أخلاقهم لتكون قرآنية، وكذلك أفعالهم وآثارهم في حياتهم وبعد مماتهم؛ فيفيض عليهم نور القرآن وبركته، وتتسع به معارفهم، وتنجلي بنوره فهومهم، وتتضح معالم ما جاء يرشدهم إليه، و يحثّ الإنسانية عليه، وكل ما يرتبط به من علوم؛ حتى شاع الاحتكام إلى منهج القرآن الفياض في نفوس ومجتمعات أهل القرآن، وظهرت فائدة وعيهم بدعوته الناس إلى الحق والعدل في التعامل مع القضايا أو المشكلات حتى وإن صغرت؛ فهو النور الهادي إلى النور، وبه الإخلاص المرشد إلى الخلاص من الظلم والتشرّد والشرور، وهو الفصل ليس بالهزل، وهو الصراط

المستقيم، الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، مَنْ قال به صدق، ومَنْ عمل به أُجر، ومَنْ دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم، ومَنْ تمسَّك به ووعاه واستشرف آثاره وأنواره - من البركة والشفاعة - نالها بفضل الله تعالى وفيض رحمته(١).

وتتضح هذه البركة في الانشراح والفهم، ولاسيما في **كيفية التعامل مع المنظومات الأخرى سوى البشرية**، من خلال التعامل مع الليل والنهار بميزان القرآن الكريم في أجيال الأمة المتعاقبة، وتفكّرها

---

(١) ولا شك أن الظن الحسن بالله تعالى، وبما يرجع علينا من ثواب العمل والاشتغال بكتابه، وأخذ أرواحنا إلى رياضه؛ إنما يستند إلى الآثار النبوية الكريمة، ومنها:

- ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده، برقم(١٤٥٢١)، أنه صلى الله عليه وسلم قال:(لا يمت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه).
- ومنها أيضاً: ما رواه البخاري في الصحيح، برقم(٧٤٠٥)، أنه صلى الله عليه وسلم، قال: قال الله تعالى:(أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء).

وفقهــا في قولــه تعــالى :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴾(١)، وقولــه:﴿ إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾(٢)، وقولــه:﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾(٣).

ـ ومما جاء في عودة بركات القرآن على أصحابه ما ذكر في سيرة الإمام أبي بكر محمد بن الحسين البغدادي (ت ٥٢٧هـ) رحمة الله عليه، أنه كان من ثقات العلماء، الذين قرؤوا القراءات وجوّدوها وأجادوا تعليمها، وكان يرحمه الله ممن عاش في ظلال القرآن وتعاليمه،

---

(١) سورة الفرقان، الآية:٦٢.

(٢) سورة البقرة، الآية:١٦٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية:٧٩.

وقد ختم اللّه تعالى له الحياة بكرامة ما كان عليه من القيام، والسّجود، وملازمة القرآن، والمحافظة على الصلة به عزّ وجلّ؛ إذ الكريم تعالى أجرى عادته: أنّ مَنْ عاش على شيء مات عليه، ومَنْ مات على شيء بُعِث عليه كالشهيد الذي يعيش على أمل الشهادة، فيوفَّق إلى ذلك، ويسعى إلى الأخذ بأسبابها فيُقتل في سبيل اللّه، ويبعثه اللّه شهيداً بدمه⁽¹⁾، فمات البغدادي ساجداً رحمة اللّه عليه، وكان ممن حَسُنت خاتمته ببركة القرآن العظيم⁽²⁾.

---

(١) وقد أخرج مسلم في الصحيح، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، برقم (٤٩٧٠)، أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «لا يُكْلَمُ أحدٌ في سبيل الله - والله أعلم بمن يُكْلَمُ في سبيله - إلا جاء يوم القيامة وجُرْحُه يَثْعَب - أي يسيل - اللون لون الدم، والريح ريح المسك». وهو كذلك في صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الطيب ٧/ ٢١٩، برقم(٢٨٠٣)، وكتاب الجهاد، باب من يخرج في سبيل الله، برقم(٢٦٤٩).

(٢) ينظر معرفة القراء الكبار ١/ ٤٨٤، برقم(٤٢٩)، وشذرات الذهب ٤/ ٨١.

- ومن الذين حفظوا قواهم وحواسّهم في ظلال منهج القرآن، ومتَّعوها في رياضه، وهذّبوا سلوكهم في ضوء تعاليمه، فمتّعهم اللّه تعالى بها في كبرهم: الإمام هبة اللّه بن أحمد بن عمر، الشيخ البغدادي (ت ٥٣١هـ) رحمة اللّه عليه، إذ ثبت في السير أنّه عاش ستاً وتسعين سنة، قضاها في رياض القرآن الكريم (١).

وجاء في الأخبار أنّ واعظ بغداد الإمام المفسِّر أبا الفَرَج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، يرحمه اللّه، حدَّث عنه، وتحدَّث عن سيرته، فقال: كان صحيح السماع، قوي التديّن، ثبتاً كثير الذِّكر والفكر، دائم التلاوة، كنتُ أجيء إليه في الحرِّ، فيقول: تصعد إلى سطح المسجد؟ فيسبقني في الدّرج، ومُتّع بسمعه وبصره وجوارحه إلى أن مات. وذكر المديني أنّه قد

---

(١) ينظر معرفة القراء الكبار ١/ ٤٨٥، برقم(٤٣٠)، والبداية والنهاية ١٢/ ٢١٢، وشذرات الذهب ٤/ ٩٦-٩٧.

عمي، ثم عاد بصيراً(١).

ولكل ما تقدّم - وغيره كثير - تظهر بركة القرآن الكريم على الأمة، ولاسيما على المشتغلين به في حياتهم ... وهو كما روى عبد اللّه بن مسعود عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: (إن هذا القرآن مأدبة اللّه، فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل اللّه، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيُستعتب، ولا يعوجّ فيقوّم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه فإن اللّه يأجركم على تلاوته؛ كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول: (ألم) حرف، ولكن ألف ولام وميم)(٢).

فعلى المسلم أن ينهض بنفسه، ويلازم كتاب ربه؛ فهو الذخيرة في الآخرة .. والنور الهادي إلى السعادة

---

(١) ينظر غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٣٤٩-٣٥٠ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ١/ ٧٤١ برقم (٢٠٤٠).
وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

في الدنيا، وبه يصلح القلب وتستقيم الجوارح، وفيه علوم الأولين، ومعارف الآخرين، وزاد الدارين الدنيا والآخرة؛ فمما جاء في الأثر عن أبي العالية قال: (قال رجل لأُبي بن كعب: أوصني: قال: اتخذ كتاب الله إماماً، وارض به حكماً وقاضياً، فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم صلى الله عليه وسلم، شفيع مطاع، وشاهد لا يتهم، فيه ذكركم، وذكر مَنْ قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم)(١).

فهنيئاً لمن عرف للقرآن قدره، وتمسك به، واتخذه دليلاً لرضوان الله تعالى والفوز برحمته، واستلذ من خلاله بمناجاة الله جل جلاله .. فلك اللهم الأمر من قبل ومن بعد، فأعنا على ذكرك وشكرك وحسن رعاية كتابك وعبادتك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢٥٣، وجاء في سير أعلام النبلاء ١/ ٣٩٣.

.. أما عودة بركة القرآن على المشتغل به بعد مماته:

فتقدّمت الإشارة إلى شفاعة القرآن لأهله، وظهور بركة تلاوته، وحفظه، وفهمه، والعمل بمضامينه عليهم في حياتهم وساعة وفاتهم، وبعض ما يلحقهم بعد مماتهم؛ إذ تمثّل شفاعته ثمرة من ثمرات الأوقات التي صرفوها في تعلّمه وتعليمه، ويمكن اعتبارها ظاهرة جلية في مجتمعات أهل القرآن؛ فكما تتجلى بركات الله عزّ وجلّ على المشتغل بآيات القرآن في الحياة الدنيا؛ فلاشك أنّ نفحاتها تعود على أهله في حياتهم الآخرة ومنازلها ؛كما جاء في حديث شفاعة الصيام والقرآن المتقدم⁽¹⁾.

وجاء في الأثر عن عمرو بن مرّة قال: سمعت مجاهد

---

(١) الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ١٧٤، برقم (٦٦٢٦)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ١/ ٧٤٠، برقم (٢٠٣٦). وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه.

ابن جبر يقول: القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة فيقول: يا رب جعلتني في جوفه فأسهرتُ لَيْلَه، ومنعتُ جَسَدَهُ من شهوته، ولكل عامل من عمله عمالة فيوقف له عز وجل فيقول: ابسط يدك فتملأ من رضوان اللّه، فلا يسخط عليه بعدها أبداً ، ويقال له: اقرأ وارقه فيرفع بكل آية درجة، ويزاد بكل آية درجة(١) .

---

(١) أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد ١/ ٢٧٨ ، برقم (٨٠٦) . وقال: أخرجه محمد بن نصر في قيام الليل. وقد سبق ذكر بعض الآثار في ذلك.

من الآثار والأخبار التاريخية في ظهور بركة القرآن على أهله بعد مماتهم:

ومن الوقائع الكثيرة التي تناقلتها الأمة في تاريخ حَمَلة القرآن الكريم، وعودة بركة آياته على أبنائها بعد وفاتهم كمكافأة على ما مضى من سلوكهم القرآني الحياتي؛ ما جاء في سيرة الإمام أبي منصور الخياط محمد بن أحمد بن علي الزاهد البغدادي (ت٤٩٩هـ)، مات وله ثمان وتسعون سنة: كان رجلاً صالحاً قانتاً للّه، عالماً بالقراءات صاحب أوراد واجتهاد، وله كرامات مشهودة، انقطع لإقراء القرآن طول حياته، فقرأ ولقّن خلقاً كثيراً، حتى بلغوا العشرات. وكان له ورد بين العشاءين يقرأ فيه سُبعاً من القرآن، قائماً وقاعداً حتى طعن في السّن، وكان إمام مسجد، اعتكف فيه مدّة يعلّم العميان كلام اللّه، ويسأل

لهم، ويطعمهم وينفق عليهم(١).

وظهرت بركة القرآن لأبي منصور في حياته؛ بما بارك الله تعالى له في عمره، وبما كتبه له من قبول الخلق وإقبالهم على التعلم والنفع منه، ثم تجلّت بعد وفاته كما حدَّث ابن خيْرون فقال: ما رأيت مثل يوم صُلِّي على أبي منصور الخياط ، من كثرة الخلق والتبرك بالجنازة.

ونقل الذهبي عن السِّلَفي أنّه قال: ذكر له المؤتمن الساجي في ثاني جمعة من وفاة الشيخ أبي منصور: اليوم ختموا على قبره (٢٢١) ختمة، ودعوا عقيب كل ختمة(٢).

وقد رُئي البغدادي في المنام بعد وفاته ، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي ؛ بتعليمي الصبيان

---

(١) ينظر العبر في خبر من غبر ٣/ ٣٥٦، وغاية النهاية ٢/ ٧٤، وشذرات الذهب ٣/ ٤٠٦، والأعلام للزركلي ٥/ ٣١٦ .

(٢) ينظر معرفة القراء الكبار ١/ ٤٥٨، برقم(٣٩٩).

فاتحة الكتاب(١).

وفاق الأمر وفاء التلامذة لشيخهم، وتسخيرهم وعامة الناس له بعد موته ببركة ما كان عليه من صحبة القرآن، وخدمة العميان، والصدق في صحبة التلامذة وعامة الخلق وتعليم الصبيان؛ ليصل إلى دخول مَنْ ليس من هذه الأمة في منظومتها، وأن يكون رحمة اللّه عليه سبباً في دخول البعض في الإسلام بعد وفاته؛ إذ يُحدّث علي العُكْبري وهو ممن حضر جنازة أبي منصور: أنّه لم ير أكثر خلقاً منها، وأنه استقبلهم يهودي، فرأى كثرة الزِّحام والخلق!، فقال: أشهد أنّ هذا الدِّين هو الحق، وأسْلَم؛ فرحمة اللّه على أبي منصور طاب حيّاً وميتاً، وهدى اللّه به الخلق في حياته وبعد مماته(٢).

---

(١) ينظر ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي ١/ ٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٢.

(٢) ينظر معرفة القراء الكبار ١/ ٤٥٩، برقم(٣٩٩).

- وفاضت بركة القرآن لتشمل سبط أبي منصور الخياط، وهو الإمام عبد الله بن علي البغدادي (ت٥٤١هـ) رحمة الله عليه ، فمع ما شهدت له الصفحات من نور وإشراق وسيرة حافلة بالعلم والعمل والاشتغال بالقرآن، وطيب صوته به مع كبر سنّه، وتواضعه، وتودده للخلق؛ فاضت عليه هذه البركات بعد موته، وظهر ما منّ الله تعالى به على أجداده من العزّ والنعيم.

قال ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) يرحمه الله: ما رأيت جمعاً أكثر من جمع جنازته رحمه الله⁽¹⁾.

وقال ابن شافع: سار ذِكْر سبط الخياط في البلاط⁽²⁾ والأغوار والأنجاد، ورأس أصحاب الإمام أحمد، وصار أوحد وقته، ونسيج وحده، لم أسمع في جميع عمري من يقرأ الفاتحة أحسن ولا أوضح منه. وكان جمال العراق بأسره. وكان ظريفًا كريمًا لم يخلف

---

(١) ينظر المنتظم ١٠/ ١٢٢، برقم(١٧٨)، والأعلام للزركلي ٤/ ١٠٥ .

(٢) هكذا وردت في المرجع، ولعلها : البلاد.

مثلـه في أكثر فنونه(١). وقـد صلى عليه إمام الحنابلة في بغداد الشـيخ عبد القادر الجيلـي رحمة اللّه عليه، ودُفـن عند دكّـة الإمام أحمـد بن حنبـل يرحمه اللّه، وأغلق أكثـر أهل البلد ذلـك اليـوم(٢)، وكان الجمع يفوت الإحصاء.

وروى الذهبي بسـنده إليـه أبياتاً من الشِّـعر يقول فيها:

أيّـهـا الزائرون بعـد وفـاتي
جَـدَثـاً ضمَّني ولَـحْـداً عميقـا
سـترونَ الذي رأيتُ مـن المـو
تِ عياناً وتسْلُكون الطَّريـقا(٣)

---

(١) ينظر ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي ١/ ١٨٩.

(٢) أي تركوا الاشتغال بالتجارة والبيع والشراء لهول ما أصابهم، وانشغالاً بـما ألمّ بهم، وحرصاً على حضور الجنازة، وتحصيل الثواب، تشوّقاً لما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عظيم الأجر في الصلاة على الميت، وفي تشييعه وحضور دفنه.

(٣) السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ١/ ٣٧١.

- **ومن أولئك الذين فاضت عليهم نفحات بركة القرآن الكريم بعد موتهم**؛ الإمام علي ابن هُذيل الزاهد (ت٥٦٤ هـ) رحمة الله عليه، فقد بلغ - كما أشرنا سابقاً - في التجويد والإتقان والإمامة أسمى المراتب، وكان صدر المقرئين وإمام المجوّدين، عمّر فانتهت إليه رياسة الإقراء بشرق الأندلس في عصره، وكان متقناً ضابطاً مجوّداً حسن الأخذ على القراء، مشهور الفضل والزهد والثقة والعدالة، صالحاً متواضعاً خيّراً، كثير الحياء، صوّاماً قوّاماً، وكان متى توجه إلى ضيعته بغربي بلنسية صحبه طلبة العلم إليها للقراءة عليه والسماع منه، فيحتمل ذلك منهم؛ طلق الوجه، منشرح الصدر، جميل الصبر، وكانوا ينتابونه ليلاً ونهاراً فلا يسأم من ذلك، ولا يضجر على كبر سنّه حسبما كان عليه أمره معهم قبلها، ولمّا توفي حضر سلطان بلنسية أبو الحجاج يوسف بن سعد، وتزاحم الناس على نعْشه،

باكين فقده، وأتبعوه ثناء حسناً وذكراً جميلاً.

وقد رثاه ابن واجب بقوله:

لـمْ أَنْسَ يـومَ تهادى نَعْشَـهُ أَسَـفاً
أيدي الورى وتراميها على الكفنِ
كزهـرةٍ تـتـهاداها الأكُفُّ فـلا
تُقـيم في راحـةٍ إلا على ظـعَـنِ(١)

فرحمة الله عليه كان أنموذجاً رائداً في التعامل مع القرآن، ورمزاً لـمَنْ ظهرت كرامة القرآن الكريم عليهم؛ بصفاته الحميدة، وخصاله الفاضلة الفريدة، وتعامله مع النفس والخَلْقِ بمنهج القرآن الكريم، وحرصه على بثّ العلم والمعرفة بين أبناء المسلمين، والغنى عن الناس بما يسّره الله تعالى له من سبل العيش، ونشر ثقافة الوداد والرحمة بين الخلق، ورعاية من أوصى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بهم كالأرامل والأيتام، وطلبة العلم، والمحافظة على إنماء

---

(١) ينظر تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٢-٣٧٣.

ذخيرة الآخرة ؛ بكثرة الصدقات، والدعاء في الأوقات الفاضلة، لتحقيق حسن الخاتمة، والفوز بما فيها من مسرّات، فأحسن تعامله مع القرآن، وسلك بذلك سبيل الرضوان فطاب حياً وميتاً؛ طيّب اللّه ثراه، وغفر له، ورفع مقامه، وجعلنا على إثره.

- **ومن الذين فاضت عليهم بركة القرآن في حياتهم وبعد مماتهم**؛ الإمام الحافظ الواعظ المفسِّر أبوالفَرَج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ) رحمة اللّه عليه، فقد استثمر عمره في العيش مع القرآن وفي ظلال معانيه، واستنباط أحكامه، وفي تعلّم وتعليم موعظته، واستلهام حِكْمَته؛ تجويداً وإتقاناً وتفسيراً، ووعظاً وإرشاداً؛ حتى بلغ أسمى المراتب في تأليف ما يتعلّق بالقرآن وعلومه وتفسيره ومواعظه، وكان له التأثير الكبير والحضور المميّز في قلوب الخلفاء والوزراء والعلماء والأغنياء والفقراء،

وكان مجموع مشايخه نيِّف وثمانون شيخاً قد خرّج عنهم، وكانت وفاته ليلة الجمعة بين العشاءين في الثالث عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة في داره بقطفتا، وله سبع وثمانون سنة قضاها في صحبة القرآن الكريم والإفصاح عن مكنون معانيه، والصبر على البلاء احتساباً لما جاء في مضامين الكتاب العزيز من عظيم الثواب عند اللّه تعالى للمحتسبين الصابرين في سبيله.

قال الإمام الذهبي: (وغُسّل يرحمه اللّه وقت السَّحر، وغُلّقت الأسواق، وجاء الخلق، وصلى عليه ابنه أبو القاسم علي اتفاقاً، لأن الأعيان لم يقدروا من الوصول إليه، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور، فصلوا عليه، وضاق بالناس، وكان يوماً مشهوداً، فلم يصل إلى حفرته بمقبرة الإمام أحمد ببغداد إلى وقت صلاة

الجمعة، وكان في تموز(١)، وأفطر خلق، ورموا نفوسهم في الماء، وأُنزل في الحفرة، والمؤذن يقول الله أكبر، وحزن عليه الخلق، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات ، بالشمع والقناديل ، ورآه في تلك الليلة المحدّث أحمد بن سلمان في النوم وهو على منبر من ياقوت، وهو جالس في مقعد صدق والملائكة بين يديه. وكان قد أوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات(٢):

يَا كَثِيرَ العَفْوِ عَمَّنْ كَثُرَ الذّنْبُ لَدَيْهِ
جَاءكَ المُذْنِبُ يَرْجُو الـ صَّفْحَ عن جُرْمِ يَدَيْهِ
أَنَا ضَيْفٌ، وَجزَاءُ الـ ضَّيْفِ إحسانٌ إليهِ

---

(١) أي الشهر السابع (يوليو) من السنة الميلادية.

(٢) ينظر تاريخ بغداد٥/ ٣٧٢-٣٧٣.

الخاتمة

الحمد للّه أولاً وآخراً ـ وإن تمّت فكرة، أو حررت عبارة، أو رصدت إشارة فكل ذلك داخل بفيض فضله جل جلاله، فله الحمد والفضل ـ والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد اللّه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.. فقد حررنا في الصفحات السابقة بعض الإشراقات من الآثار والمواقف في شفاعة القرآن وعودة بركته على المشتغل به في حياته وبعد مماته؛ على أمل أن تسهم في شروق شمس القرآن في قلوب وعقول أبناء الأمة من جديد، فينتفع بها الجيل الحاضر والقادم، وتكون محفّزاً إلى مزيد عناية بالقرآن العظيم، وأن توظف الجهود والأموال والأعمار في رعايته وإكرامه، وتحبيبه للناس، وإيجاد الوسائل المرغّبة للعيش في ظلاله، والتلذذ بمعانيه، والامتثال لأحكامه، وحفظه،

والقيام به على الوجه الذي يحبه اللّه ورسوله صلى اللّه عليه وعلى آله؛ كي تصل أجيالنا هذه إلى استشراف آثاره في الروح والنفس والبدن، وتنال حسن رجاء ذخيرته وشفاعته، وسعادته في الدنيا و الآخرة.

ثم على الباحث عن الشفاعة القرآنية وبركتها أن يحسن كيفية التعامل مع القرآن الكريم(١) من خلال تلاوته على الوجه الصحيح، واستحضار أجر ذلك وكرامته عند اللّه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾(٢). ثم حفظه بالتلقي، واستحضار أثر ذلك في النفس والأجيال، واليقين بأن الشفاعة والأثر الإيجابي متحصل بحفظ حدوده - القرآن - كما ذهب إلى ذلك السلف يرحمهم الله

---

(١) ويمكن للقارئ الإفادة من كتاب «أبرز أسس التعامل مع القرآن» للأستاذ الدكتور عيادة أيوب الكبيسي حفظه الله، فهو كتاب مهم، باعث على التعامل مع القرآن في ضوء فهم السلف يرحمهم الله تعالى.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٢١.

تعالى، وتجديد فهمه وفق ثوابت الآثار عن النبي الخاتم المختار صلى اللّه عليه وآله وسلم، وما ثبت عن صحابته الأخيار رضوان اللّه عليهم أجمعين، وكذلك في ضوء احتياجاتنا العصرية، سالكاً سبيل الضوابط والأسس المقررة لدى العلماء في فهم نصوص الوحي الإلهي، ليصل إلى مرحلة الفهم عن اللّه تعالى، ويستحضر في ذلك كله عظيم ثواب ما يرنو إليه في هذا السلوك، وكرامة شفاعة القرآن له عند اللّه تعالى ، لا سيما بعد أن يُدرك مراد اللّه تعالى من خلال خطاباته. ثم يتحوّل إلى مرحلة العمل بمضامين توجيهاته الحكيمة، وتطبيق آياته ذات الأمر، والانتهاء عن نواهيه، وأخذ العبرة من قصصه، وعندها ستدرك الأمة مقاصد القرآن، وتنال شفاعته وكرامته في الدنيا قبل الآخرة؛ فقد ثبت عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم أنه **قال:** «المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأُتْرُجّة طعمها

طيب وريحها طيّب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافقُ الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيّب وطعمها مُرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مُرّ أو خبيث وريحها مُرّ»⁽¹⁾.

وكما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو يحدّث الأمة عن هدي السلف في الإفادة من القرآن وأنواره وشفاعته، فيقول: كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يتجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ والعمل بهنّ .. فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعاً⁽²⁾.

فعلينا - يا رعاكم الله - أن نبذل الجهد في تعاملنا مع القرآن الكريم، وأن نتفكّر ونتفهّم مراد الله تعالى فيه، ونتعلّم مغزى الآيات ومقاصدها، وندرك مراميها وأهدافها؛ فهي آيات تتنزل كل لحظة في وجداننا تعالج

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب من راءى بقراءة القرآن، برقم (٥٠٥٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٤١٠، والطبري في مقدمة تفسيره ١/ ٣٦.

مشكلاتنا النفسية والروحية والبدنية والاجتماعية، وتوصلنا إلى الحلول المناسبة لمسائل اليوم، وتنير لنا الطريق إلى مستقبل الرحمات والشفاعة والنجاح.

وبهذا وبغيره من الثابت عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم،وأصحابه، والسلف الصالح يرحمهم اللّه؛ يمكن للمسلم أن يحفّز نفسه ليصل بالإخلاص مع العمل والإحسان فيهما إلى التمكن من الحصانات الدنيوية، والشفاعات الأخروية، ويحقق السعادة المنشودة للروح والبدن، وتظهر آثارها فيه، وفي أسرته، ومجتمعه وأمته، واللّه ولي التوفيق.

وصلَّى اللّه على نبيِّنا مُحَمَّدٍ كلَّما ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ، وغَفَل عن ذِكْرِهِ الغافِلُونَ. وصلَّى اللّه عليه في الأوَّلين والآخرين، أفضَلَ وأكثَرَ وأزكى ما صلَّى على أَحَدٍ من خَلْقِهِ. وزكَّانا وإيَّاكم بالصَّلاة عليه، أفضلَ ما زكَّى أحدًا من أُمَّتِهِ بصلاته عليه. والسَّلام

عليه ورحمة الله وبركاته. وجزاه الله عنَّا أفْضَلَ ما جزى مُرْسَلاً عن مَنْ أُرْسِلَ إليهم؛ فإنَّه سبحانه أنقَذَنا به صلى الله عليه وسلم من الهَلَكة، وجعلنا في خير أُمَّةٍ أخرجت للنّاس، دائنينَ بدينه الذي ارتضى، واصطفى به ملائكتَه ومَنْ أنعم عليه مِنْ خلقه، فلم تُمْسِ بنا نعمةٌ ظهرتْ ولا بطنتْ، نلنا بها حظّاً في دِينٍ ودُنْيا، أو دُفِعَ بها عنَّا مكروهٌ فيهما، أو في واحدٍ منهما: إلا وسيدنا محمَّدٌ صلى الله عليه سَبَبُها، القائدُ إلى خيرها، والهادي إلى رُشْدِها، الذَّائدُ عن الهَلَكة وموارد السَّوْءِ في خلاف الرُّشْدِ، المُنَبِّهُ للأسباب التي تُورد الهَلَكة، القائمُ بالنصيحةِ في الإرشاد والإنذار فيها. فصَلَّى الله على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، كما صَلَّى على إبراهيم وآل إبراهيم، إنَّه حميدٌ مجيدٌ(١).

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) هذه الصيغة من الصلاة ذكرها الإمام الشافعي في كتابه الرسالة، ص١٦-١٧.

أهم المصادر والمراجع المستفاد منها

«القرآن الكريم».

- أبرز أسس التعامل مع القرآن، للدكتور عيادة الكبيسي، دار البحوث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط٢، ٢٠٠١م.
- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.
- أثر القرآن في سلوك المجتمع المسلم، للدكتور عبد القدوس السامرائي. دائرة الشؤون الإسلامية، دبي، ط١، ١٤٣٠هـ .
- أسس البناء الروحي للأمة من خلال القرآن الكريم وأقوال السلف، للدكتور عبد القدوس بن أسامة السامرائي، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط١، ٢٠١٠م.
- الأعلام، للزركلي. موقع يعسوب، (المكتبة الشاملة).
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لجابر ابن أبوبكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، ٢٠٠٣م.
- البحر المديد، لأحمد بن محمد ابن عجيبة الحسني الإدريسي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ،دار الكتب العلمية، بيروت.
- تذكرة الحفاظ ، للذهبي، حيدر آباد، الهند، سنة ١٣٢٤هـ.
- تفسير الطبري، دار الفكر، ١٤٠٥هـ .
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، حيدر آباد، ١٣٢٥هـ.
- خرف الشيخوخة (الزهايمر) مرض فقدان الذاكرة khrf alshikhoukhah (a’lzhaimr) mrdh fkdan althakrah،

لغسان جعفر.

- (MAYO CLINIC حول داء الزهايمر MAYO CLINIC houl da'a a'lzhaimr، لرونالد بيترسن، ترجمة، وتحقيق: مركز التعريب والبرمجة، الدار العربية للعلوم).
- الدر المنثور، السيوطي، دار الفكر، بيروت.
- السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لأبي عبد الله الأنصاري المراكشي،تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان،ط ١، ١٩٦٥م.
- الزهد لابن المبارك، لأبي عبد الله المروزي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سنن ابن ماجه القزويني، دار الفكر، بيروت.
- سنن أبي داود السجستاني، دار الفكر، بيروت.
- سنن الترمذي السلمي، دار إحياء التراث، بيروت.
- سنن الدارمي، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
- سنن النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.
- سير أعلام النبلاء ، للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.
- شذرات الذهب لابن العماد، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١ ١٩٨٦م.
- شعب الإيمان، للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الشفاعة، للوادعي، أعدها للشاملة: رأفت الحامد العدني، ١٤٢٨هـ.
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله الجعفي، تحـ البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٧م.

- صحيح مسلم، دار إحياء التراث، بيروت.
- طبقات ابن سعد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة ، عالم الكتب، بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، المطبعة الحسينية، القاهرة، سنة ١٣٢٤هـ.
- العبر في خبر من غبر، للذهبي، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٨٤م.
- العمر والشيب، لابن أبي الدنيا، مكتبة الرشد ، الرياض، ١٤١٢هـ.
- غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري، موقع الوراق (المكتبة الشاملة).
- فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار، للحسن بن أحمد الرُباعي الصنعاني، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ علي العمران، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٧هـ.
- فضائل القرآن، للنسائي، دار إحياء العلوم، بيروت، الدار البيضاء ١٤١٣هـ.
- فضائل القرآن وتلاوته، للرازي، تحقيق الأستاذ الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية ، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الخالق ابن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
- مختصر قيام الليل، لمحمد بن نصر المروزي، موقع جامع الحديث (المكتبة الشاملة).
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم القزويني، دار الكتب العلمية،

بيروت، ١٩٩٠م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.
- مصنف عبد الرزاق الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- المعجم الكبير، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.
- مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، للدكتور خالد اللاحم. ط٢، ٢٠٠٧م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٥٨هـ.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. لابن تغري بردي، موقع الوراق، (المكتبة الشاملة).
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأنباري، القاهرة، ١٩٦٧م.
- النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- الوافي بالوفيات، للصفدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، منشورات فرانز شتايز شتوتكارت.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

الفهرس

العنوان ص

الافتتاحية 5
المقدمة 9
أهم الأعمال التي من خلالها تكتسب الشفاعة 10
الحذر من الكذب في الشفاعة 18
شفاعة القرآن و الآثار الواردة فيها 21
قراءة القرآن نور وسرور 22
القرآن أولى ما تصرف فيه نفائس الأيام 23
شفاعة القرآن لأهله ورفعة مكانة المشتغل به 25
أهل القرآن هم أهل الله تعالى 28
بركة القرآن على المشتغل به في حياته وبعد مماته 29

*** ومن بركات القرآن الكريم أنه:**

- يحافظ على عقل المشتغل به وعلى أفضلية إيمانه 29
- يحقق انتفاء مرور أهله بمرحلة أرذل العمر 30
- يحقق الإيمان لدى المشتغل به 33
- يعرّف المشتغل به على حقيقة الدنيا 37
- يزيد الطاقات الوجدانية وآثارها ككثرة الخشوع والورع من الشبهات 40
- يحقق الاستلذاذ بمناجاة الله عز وجل 40
- يبارك ظهور حالة الصلاح في الأمة ومجتمعها 42

العنوان	ص
- يوسع دائرة التعامل مع الخلق في ضوء الود والتواضع	42
- يفتح الآفاق الذهنية لأهله	43
- يزيد من حرص المشتغل به على طلب العلم، والتطور فيه	44
- يؤثر في إصلاح السلوك تأثيراً إيجابياً	45
- ومن بركات القرآن أيضاً: أنه ينهض بصاحبه ليتمسك بالهدي النبوي في سلوكه الخاص والعام	47
- يحفّز على تنفيذ الأوامر الإلهية والانتهاء عن النواهي	48
- يجعل المشتغل به متحلياً بالفضائل وأسمى الشمائل	51
- يمنح فرصة التمتع ببقاء الحواس سليمة صالحة	54
- يفيض على صاحبه بانشراح الصدر فيقوده إلى الفهم عن الله	55
- يمدّ صاحبه بفهم كيفية التعامل مع المنظومات الأخرى في الكون سوى البشرية	57
عودة بركة القرآن على المشتغل به بعد مماته	63
- من الآثار والأخبار التاريخية في ظهور بركة القرآن على أهله بعد مماتهم	65
الخاتمة	75
أهم المصادر والمراجع المستفاد منها	81
الفهرس	85